الضوء فوق البحيرة

بقلم : شامان • ناهاى

كان الرجل المسن قد أتى الى (سريناجار) للراحة والاستجمام ، كان كل شيء فى حياته خشنا ومرهقا ، زواجه ، تربية أولاده ، عمله ، لم ينته أى شيء من هذا كما أراد له أن ينتهى ، لقد صنع لنفسه شهرة لا بأس بها كرسام •• فلوحاته غزت كثيرا من المعارض والبيوت ، ولجان التخطيط للفنون لم تنس ان تستعين بخبرته ، ولكن !! من ذا الذى يهتم اليوم بالسمعة الطيبة ؟ أو بأى نوع آخر من السمعة ؟ هل هو الآن راض عن الحياة التى عاشها ؟ هل كانت حياة طيبة ؟ ان الحياة الطيبة هى تلك التى تشعرك بالرضا ، هل كان راضيا عن السنين التى ولت ؟ أم كانت تلك السنون كومة متراكمة مهملة من الذكريات ؟!

لقد جاء الى هنا وحده ، استأجر كوخا فى (هازراتبال) يطل على بحيرة (دال) ، وفى الصباح الباكر قام بجولة لا تزيد عن ميل واحد على قدميه حول البحيرة ، كان ــ بعدد السنين ــ عجوزا ، لكن جسده محتفظ بنشاطه وبارادة الشباب ، كثيرا ما كان يلهث أثناء جريه على شاطىء البحيرة ، يظن انه سيسقط وينهار ، أو يصاب بنوبة قلبية ، لكنه كان يطرد هذه الخواطر الثقيلة جانبا ويواصل الجرى ، انه أفضل لك أن تسقط لاهثا وتموت ، من أن تموت موتا بطيئا ، لم تكن تلك الخواطر تلازمه سوى لحظات خاطفة ، لم تكن الا اشفاقا منه على نفسه ، أو حسرة طارئة تشعل فى نفسه الغضب •

كان فى أحسن حالاته الصحية ، ظل دمه يتدفق فى عروقه كأنه شاب حديث التخرج ، وفى كل انحناءة مع جسر البحيرة كان يحلم بمشهد مثير أو معجزة تحطم ركود الحياة •• حتى لو تمخض حلمه عن جنى أو شبح •

كان كوخه يقع على حدود حديقة (ناسيم باج) التى تحيط بها الأشجار ، البعض يقولون ان هناك تسعمائة شجرة من أشجار « الشينار »